محاضرة ماتعة:

وجوب الوفاء بالبيعة وثمارها

لفَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

• وجوب الوفاء بالبيعة وثمارها •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أكرمنا فهدانا وجعلنا مسلمين، وأتم علينا النعمة وأكمل لنا الدين، وبعث إلينا أشرف الأنبياء والمرسلين، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن، أَمَّا بَعْد؛

فمعاشر الفضلاء والفضليات؛ أرحبُّ بكم في هذا المجلس، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعله حُجَّةً لنا لا علينا، وأن يجعله معينًا لنا على القيام بالواجب عَلَيْنَا.

معاشر الفضلاء؛ إن الله شرّف الناس جميعًا ببعثة محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعله خاتمًا للأنبياء والمرسلين، أرسله للناس أجمعين، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، بل أرسل الله للعالمين للجن والإنس، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أرسله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأكمل به وله الدين، وأتم على الناس النعمة، ورضي لهم الإسلام دينًا، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

جاء صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل خير، فديننا الذي ارتضاه الله للناس أجمعين دينًا، دينٌ شامل كامل، دينٌ جمع المحامد كلها، دينٌ جمع المصالح كلها، فوالله الذي لا إله إلا هو ما من خير إلا وهو مركوزٌ تحت راية الإسلام، وما من شرٍ، وما من ضرٍ إلا نبّهنا عليه ديننا ونهانا عنه، ديننا جاء بجلب المصالح وتكثيرها ودرء المفاسد وتقليلها، بل ديننا مبنيٌ علىٰ ذلك، أجمع علماؤنا علىٰ أن دين الإسلام مبني علىٰ جلب المصالح وتكثيرها، وعلىٰ درء المفاسد وتقليلها.

ومن ذلك: أن هذا الدين العظيم الكريم الذي رضيه الله عَزَّ وَجَلَّ دينًا جاء بمشروعية الجماعة، وجعل لزوم الجماعة فرضًا لازمًا، وجعل الفرقة محرمة وعصيانًا، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، من المخاطبون؟ إنهم أنتم، اعتصموا

تمسكوا ألزموا، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وما حبل الله؟ حبل الله الكتاب والسنة والجماعة، فالجماعة حبل الله فألزموها، أمر من ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فذاك والله علينا فرض نرتضيه لأن ربنا قد فرضه علينا، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فحرم الله علينا الفرقة عن الجماعة مهما كانت الأسباب.

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا، ويكرهم لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»، رواه مسلم في الصحيح، إن الله يرضى لكم الله أكبر ربنا هو الذي يرضى هذا، أفلا نرضى بما يرضاه ربنا؟! أفلا نرضى بما يرضي ربنا؟! إن لم نفعل والله إنا لخاسرون، المؤمن التقي يرضى بما يرضاه الله، يحرص على ما يرضي الله.

أول هذه الثلاث: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، مفتاح الخير، وأساس الخير أن توحد الله في عبادتك، فليس لمخلوق مهما عظم فضله حق في عبادتك ولو كان ذلك شيئًا يسيرًا، فأنت لا تدعو إلا الله، لا تدعو ملكًا مقرّبًا، ولا نبيًا مرسلًا، ولا وليًّا صالحًا، إنما تدعو الله لأنك تعلم أن الملائكة عباد، وأن الرسل عليهم السلام عباد، وأن الأولياء ما صاروا أولياء إلا لأنهم عباد، فهم عباد يعبدون ولا يعبدون، فلا تعبدوا إلا الله، عبادتك كلها خفيها وظاهرها دقيقها وجليلها لله رب العالمين، لا شريك له ربك يرضى منك هذا.

وثانيها: أن تعتصموا بحبل الله جميعًا، أن تتمسكوا بالجماعة جميعًا، ولا تتفرقوا عَنْهَا.

وكما جاء في الروايات الأخرى الثالثة: المناصحة لمن ولاه الله أمرنا، وفي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبهم، ومما قاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخطبة: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**» رواه الترمذي وصححه الْأَلْبَانِيُّ.

رَسُولِنَا قدوتنا حبيبنا إمامنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب الصحابة رضوان الله عليهم ويذكر هذا الأمر الجليل: «**عليكم**»، وعلى تقتضي الوجوب، «**عليكم بالجماعة**»، أقيموها وألزموها، وحافظوا

عليها، «وإياكم والفرقة»، فإنكم إن فعلتم فلزمتم الجماعة وحذرتم الفرقة وابتعدتم عنها عصمكم الله، وحفظكم الله، أما إن تفرقتم، «فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد».

ثم يا عبد الله إن المؤمن إِنَّمَا يتطلع إلىٰ الجنة، إنما ينظر إلىٰ أمامه، إنما ينظر إلىٰ المستقبل الحقيقي، إنما ينظر إلىٰ يوم الغد الحقيقي حينما يلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، «فمن أراد بحبوحة الجنة فليزم الجماعة»، إن الطريق إلىٰ الجنة إنما يكون بلزوم الجماعة، وهذا فضلٌ عظيم.

وعند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن زكريا بن سلام عن أبيه عن رجل قال: انتهيت إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: «أيها الناس عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، أيها الناس عليكم بالجماعة وإياهم والفرقة، أيها الناس عليكم بالجماعة وإياهم والفرقة»، قالها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرار، وإنما ذلك لتأكيد الأمر ولعظم شأنه وعظم أثره.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يد الله مع الجماعة» رواه الترمذي، وصححه الألباني، نعم إن أردت عون الله، إن أردت حفظ الله، إن أردت نصر الله لك فكن مع الجماعة، ألزم الجماعة، وأحفظها وحافظ عليها، فإن يد الله مع الجماعة، نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الزم جماعة المسلمين وإمامهم»، وهذان متلازمان، فلا جماعة إلا بإمام، ولا بد للإمام من جَمَاعَة.

قال: «فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: فاعتزل تلك الفرق كلها»، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين لنا أيها الفضلاء أن الواجب علينا أن نلزم الجماعة والإمام، فإن لم يكن جماعة ولا إمام فإن الاعتدال فرض علينا، لا ننضم إلى جماعة أو فرقة ليست من الجماعة التي لها الإمام المعتبر، وقال أبو مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه: عليكم بالجماعة، فإن الله لا يجمع أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ضلالة، رواه ابن أبي عاصم والطبراني، وقال الألباني: إسناده جيد، هذا فهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليكم بالجماعة، فإن في الجماعة الهداية».

فإن الله لا يجمع أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ضلالة، وعند ابن أبي شيبة أنه قيل لأبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصنا؟ قال: عليكم بالجماعة، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ضلالة، قالوا: أوصنا؟ يعني زدنا وصلية، فقال: بتقوى الله والصبر حتى يستريح بر أو

يستراح من فاجر، عليكم بالجماعة الزموا الجماعة، فإنها طريق الهداية، فإن رأيتم ما تكرهون فعليكم بتقوى الله والصبر حتى يستريح بر ويستراح من فاجر.

وعن يسير بن عمرو قال: خرجنا مع ابن مسعود فقلنا: أوصنا؟ قال: عليكم بالجماعة، فإن الله لن يجمع أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ضلالة حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، رواه البيهقي في شعب الإيمان، وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من خرج من الجماعة واستذل الإمارة لقي الله ولا وجه له عنده» رواه أحمد والحاكم وصححه، «من خرج من الجماعة واستذل الإمارة»، هذا الأمران متلازمان، فمن استذل الأمير من استذل الحاكم أوشك أن يفارق الجماعة، ومن فارق الجماعة فقد استذل الإمارة، ومن فعل ذلك فقد فعل كبيرة من كبائر الذنوب، فإنه يلقى الله غدًا ولا وجه له عنده، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية» متفق عليه.

«من فارق الجماعة شبرًا»، قال العلماء: هذا تحذير من مفارقة الجماعة ولو بالقليل، ولو مقدار شبر، فإن من فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، أي مات على طريقة أهل الجاهلية، نعوذ بالله من ميتة الجاهلية، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من فارق الجماعة شبرًا فقد خلع بقة الإسلام من عنقه» رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني، «من فارق الجماعة ولو مفارقة يسيرة فقد خلع ربقة الإسلام».

والربقة يا إخوة هي الحلقات التي توضع في الحبال لتربط بها صغار الماعز حتى تحفظها، وحتى لا تذهب، فمن فارق الجماعة فقد خلع من عنقه حفظ الإسلام، فالإسلام حفظ للعبد، ومن كان مع الجماعة نال حفظ الإسلام، ومن فارق الجماعة خلع ربقة الإسلام من عنقه.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مبينًا أول شأن الاجتماع والافتراق، فقال: اختلفوا في الجماعة والافتراق، فذهب الصحابة ومن معهم إلى وجوبها، وأن الإسلام لا يتم إلا بها، وذهبت الخوارج ومن معهم إلى الأخرى وإنكار الجماعة، ففصل الكتاب بينهم بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ذهب الصحابة ومن كان معهم ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا، إلى وجوب الجماعة ووجوب لزومها، وإلى أن الإسلام لا يتم إلا بها، وذهب الخوارج وأبناءهم وأذيالهم إلى عدم الاهتمام بالجماعة، وإلى إنكار وجوبها،

ووجوب لزومها، ففصل الله بين الجميع، وبالقرآن بان الحق من الباطل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هذه الجماعة لا يمكن أن تقوم، ولا يمكن أن يستقيم لها حال إلا إذا كان لها إمام، ولذلك نص فقهاء الإسلام على وجوب تولية الحاكم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحد بلا سلطان، والتجربة تبين ذلك، يجب أن تعرف ويجب أن تعلم إن من العلم الواجب أن تعلم أن ولاية أمر الناس ليست سياسة، وليست مبنية على الآراء، وتقلبات الْأَهْوَاءِ، وتحزبات الجماعات الحزبية.

يجب أن تعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، ليست واجبة فَقَطْ، بل هي من أعالي الواجبات، وأعظم الواجبات في ديننا، بل لا قيام للدين، ولا للدنيا إلا بِهَا، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم لا الْدِّيْنِيَةِ، ولا الدنيوية إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس.

ثم ذكر الحكمة العظيمة التي يشهد لها الواقع إلىٰ اليوم، يقال: ستون سنة من إمام جائز، لو أن الناس بقوا ستين سنة تحت ولاية إمام جائز فذلك خير لهم من ليلة يقضونها بلا سلطان.

والله إن الفساد الذي يحصل عند اختلال الولاية وعند اختلال السلطة فساد عظيم، ولو خلي الناس وخلت الولاية لرأيت العجب العجاب، وقد رأينا بأعيننا ورأى غيرنا ما يحدث في البلدان عند إسقاط الحاكم، ولازال الناس يرون ذلك، بل كم سمعنا من أناس يقولون: ولا ليلة من لياليه، الذين كانوا يسبونه ولا يريدون، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليقة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة، ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه.

القرطبي رَحِمَهُ اللهُ يُبين لنا إجماع الأمة والأئمة علىٰ وجوب نصب الإمام والخليفة، وأنه لمي خالف في ذلك إلا الأصم المعتزلي، حيث كان عن النصوص الشرعية أصم، وكذلك كل من سار علىٰ مذهبه فهون من شأن الإمامة وحث الناس علىٰ تركها إلىٰ يومنا هذا، هو في حقيقة الأمر عن الشريعة أصم، وقال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: واتفقت الأمة من أهل السنة والجماعة علىٰ أن الاستخلاف سنة، وطاعة الخليفة واجبة، إلا الخوارج والمارقة الذين شقوا العصا، وخلعوا ربقة الطَّاعَةُ.

أيها الفضلاء والفضليات؛ مهما كان الحاكم ومهما كان حاله؛ فالصلاح الحاصل به أعظم من الفساد الواقع أو المتوقع.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ "إِنَّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تحبون في الفِرقة"، ما يكرهه الإنسان في الجَمَاعَةِ، ولا جماعة إلا بإمام، هو خيرٌ له مما يحبه في الفرقة.

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وقال الحسن البصري في الأمراء؛ هم يلون من أمورنا خمسًا: الْجُمُعَةِ، وَالْجَمَاعَة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله ما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن والله إن طاعتهم لغيظ وإن فرقتهم لكفر، كلمات هي منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، هم أي الولاة يلون من أمورنا خمسًا، أي: لا تقوم إلا بهم، هذه الخمس هي الْجُمُعَةِ، وَالْجَمَاعَة، والعيد، والثغور، والحدود.

ثم يقسم الحسن البصري الإمام التابعي الجليل أنه والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، ثم قال: مع أن والله إن طاعتهم لغيظ للأعداء، الأعداء يغيظهم أن يروا المسلمين يطيعون ولاة أمرهم في غير معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكثر ما يغيظ الكفار وما يغيظ المنحرفين من الجماعات الحزبية المنحرفة أن يروا الشعب مطيعًا لولي الأمر في غير معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فطاعتهم مع كونها فرضًا فيها مصلحة عظيمة ألا وهي إغاظة الأعداء، وإن فرقتهم لكفر، إن مفارقة الإمام إن كان عن استلال فهي كفر صريح لا شك فيه، وإن كانت عن غير استحلال فهي من الخروج، وقد اختلف السلف في الخوارج هل هم كفار أو مرتكبون لكبيرة من أقبح الكبائر؟ وجاء أن عبد الله بن مسعود كما ذكرتم لكم قال: أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر

به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة، كما عند الطبراني والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذَّهَبِيُّ.

معاشر الفضلاء؛ إنه عند تعدد الأقطار فلكل قطر حاكم، هذا مهج السلف الذين أدركوا تعدد الأقطار والولايات، فلم يعهد عنهم إنكار البيعة إذ ذاك ولازال هذا منهج أهل العلم والسنة إلى يومنا هذا، لا ينكرون البيعة عند ذاك، بل يقومون بها، ويؤدونها، ويوفون بها، قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ موضّحًا ذلك: الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء ولولا هذا ما استقامت الدنيا لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم.

ينبغي على طلاب العلم وعلى المسلمين عمومًا أن يعوا هذه القضية، فإن هناك من أخطأ فيها، وقال: إن منهج السلف أنه لا بيعة عند تعدد الأحكام والأقطار، وهذا غلط بين، فإن منهج السلف من قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا أن البيعة يقام بها، ولو تعدد الولاة، كما حصل في أول الإسلام بعد فترة الخلفاء الراشدين في زمن بني أمية إلى يومنا هذا، ولازال أهل العلم على هذا ومن أخطأ من العلماء في هذا الباب نستغفر له، ولا نتابعه على خطئه، قال ابن الأزرق المالكي: إن شرط وحدة الإمام بحيث لا يكون هنا غيره لا يلزم معه تعثر الإمكان، واليوم التعدد حاصل والاجتماع متعذر إلا أن يشاء الله شيئًا.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الخليفة الواحد على سائر الأمة هذا قد انقضى زمنه منذ عهد بعيد، منة حيث انقرض الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عنهم تمزقت الأمة، فبنوا أمية في الشام وما حوله وعبد الله بن الزبير في الحجاز وما حوله وآخر في المشرق وما حوله وآخرون في اليمن تمزقت الأمة ومع ذلك فكل العلماء الذين يتكلمون على وجوب السمع والطاعة يتكلمون على وجوب السمع والطاعة في عهدهم مع تفرق الأمة، وكل إقليم وما أشبه فيه أمير يختص بهِ.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعلى هذا الرأي الفاسد الباطل معناه الآن ليس لأمتنا إمام والأمة الآن تعيش في أمر جاهلي ليس هناك أمام ولا مأموم، ولا سلطان ولا مسلط عليهم، وعند تولية الحاكم معاشر الفضلاء والفضليات تجب البيعة، والبيعة عهد وميثاق، ومعناها في الشرع معاهدة ولي الأمر

على السمع والطاعة، قال ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه، وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير عقدوا عهده جعول أيديهم في يده تأكيدًا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمي بيعة مصدر باع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد من الحديث في بيعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء، انتهى كلام ابن خلدون.

هذا توضيح وبيان لمعنى البيعة وكثير من الناس يتكلمون عن البيعة وهم لا يعرفون معناها، إن معنى البيعة أنك تعطي الإمام تعطي الحاكم عهدًا منك بان تفوض النظر في الأمور إليه، والله يحاسبه، ولا تنازعه أمره، وأنك تسمع له وتطيع، إذًا البيعة ليست تفويضًا في أن يصنع ما يشاء، وإنما هي معاهدة على السمع والطاعة، فلا أثر لنظام الحكم في البلد على وجوبها، والتزامها، وما يدندن به اليوم من أنه إذا كان نظام الحكم في البلد وضعيًا لا تكون هناك بيعة غير صحيح، ويؤدي إلى انخرام الأمر وسقوط وجوب السمع والطاعة في كثير من بلدان المسلمين، أنت يا عبد الله لا تفوض في البيعة، وإنما تقيم عهدًا على أن تسمع وتطيع، وعلى أنك لا تنازع الحاكم ما فوّضه الله عَزَّ وَجَلَّ إليه من الْأُمُور.

ولذلك بلا شك لا أثر لنظام الحكم في وجوب البيعة ولزومها، وأنت عندما تبايع إنما تريد من الحاكم أن يكون على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله يحاسب الجميع، والبيعة معاشر الفضلاء تحصل مبايعة أهل الحل والعقد من العلماء الأكابر وقادة الجيش فتقع البيعة إذ ذاك، وتلزم في جميع أعناق الرعية، فمن سمع وأطاع ولم ينازع الأمر أهله فقد حققها، وصدقها، ومن لم يلزم ما يترتب عليها فقد نزعها من عنقه، قال المازني رَحِمَهُ اللَّهُ: يكفي في بيعة الإمام أن تقع من أهل الحل والعقد، ولا يجب الاستيعاب، يعني لا يجب أن يبايع كل الناس بأنفسهم فردًا فردًا، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده، ويضع يده في يده، بل يكفي التزام طاعته، والانقياد له، بألا يخالفه، ولا يشق العصا عَلَيْهِ.

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أما البيعة فقد اتفق العلماء على أنه لا يشترط لصحتها مبايعة كل الناس، ولا كل أهل الحل والعقد، وإنما يشترط مبايعة من تيسر اجتماعهم من العلماء والرؤساء ووجوه الناس، ولا يجب على كل واحد أن يأتي إلى الإمام فيضع يده في يده ويبايعه وإنما يلزمه إذا عقد أهل الحل والعقد للإمام البيعة الانقياد له، وألا يظهر خلافًا ولا يشق عصا.

إذًا إن من الجهل ما نسمعه من بعضهم من قوله: أنا لم أبايع بنفسي، فلا تلزمني أحكام البيعة عندما بايع أهل الحل والعقد، فقد بايعت شئت أم أبيت، وإنما الشأن هل تحافظ على البيعة أم أنك والعياذ بالله تنزع البيعة من عنقك، وهذه البيعة تبع لمبايعة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعانا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان، متفق عليه، هذه البيعة التي أخذها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصحابة هي أصل كل بيعة بعد ذلك، البيعة إنما هي على السمع والطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وفي أثرة علينا، والبيعة ألا ننازع الأمر أهله، إلا إذا رأينا كفرًا بواحًا ظاهرًا بينًا لا يختلف فيه عندنا من الله فيه برهان، وكنا قادرين على تغيير الإمام من غير مفسدة أعظم من مفسدة بقائه.

ويُضاف إلى ذلك فيما أقره العلماء إذا جن الإمام فإن ولايته تسقط، وما عدا ذلك فالبيعة قائمة لازمة، روى مسلم في صحيحه عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لحدثك حديثًا سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**».

نعم من مات وهو يعتقد أنه ليس في عنقه بيعة نزع البيعة والبيعة قائمة حاضرة، لكنه أباها ونزعها من عنقه، واله إنه ليس على طريقة المسلمين، فإن مات فإنما يموت على طريقة الجاهلية، وجاء عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية**»، رواه الإمام أحمد وانب حبان وصححه ابن حبان، وحسنه الألباني، «**من مات بغير إمام مات**

ميتة جاهلية»، من مات وهو يعتقد أنه لا إمام له وأنه لا بيعة في عنقه فإنه يموت على طريقة أهل الجاهلية، لا على طريقة أهل الإسلام.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع» رواه أحمد وأبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه وصححه الألباني، فإذا بايعت الإمام وكانت بيعتك تبعًا لبيعة الأكابر فإنه يجب عليك أن تطيعه في غير معصية الله ما استطعت.

وعن نافع رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يُنْصَبُ لِكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامةِ»، وغنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه، وراه البخاري في الصحيح، هذا موقف ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما وهو موقف السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ولا يجوز يا عبد الله أن تجمع الوفاء بالبيعة تبعًا لتقلبات الدنيا فإن أعطيت من الدنيا كنت من أهل البيعة وافيًا بها، وإن لم تعط من الدنيا تبررت وتعللت لنقضها، فقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة»، أي لا ينظر لهم نظر رحمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها رضي وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل» مُتَّفَقٌ عليه، ما هذا الوعيد الشديد لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، فكيف يفلحون، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

من هم هؤلاء الذين فعلوا هذه الكبائر التي اقتضت هذا الوعيد الشديد منهم: رجل يبايع الإمام لا يبايعه إلا للدنيا، بيعته تبع للدنيا، إن أعطي من الدنيا رضي وتابع، وإن لم يعط من الدنيا سخط، نعوذ بالله من سوء الحال، هذه البيعة العظيمة لها آثار كريمة أعظم آثارها السمع والطاعة للأمير في غير معصية الله وفي ذلك سعادة الدنيا مع ما يجعله الله للعبد من الثواب، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ: وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، هذا الكلام يقول الإمام الحبر العلامة ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وهذا قول السلف وقول أتباع السلف، ولا يخالف فيه إلا الفتانون المخذولون، المخذلون عن فرض من أعظم فرائض الدين، وقال ابن الأزرق: إن الطاعة له، أي للأمير، أصل عظيم من أصول الواجبات الدينية حتى أدرجها الأئمة في جملة العقائد الإيمانية، السمع والطاعة للأمير أئمة أهل السنة يذكرون هذا الأصل في جملة العقائد الإيمانية لعظم شأنها، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله»، نعم والله لا ح ظ في الإسلام لمن فرق السنة عن القرآن وقال: لا أطيع إلا ما في القرآن، فإن من أطاع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أطاع الله، ومن عصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد عصى الله.

ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصى الأمير فقد عصاني» مُتَّفَقٌ عليه، فمن يطع الأمير فقط أطاع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالتالي فقد أطاع الله، ومن يعصي الأمير فقد عصى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالتالي فقد عصى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» رواه البخاري في الصحيح، السمع والطاعة لولي الأمر حق أي فرض واجب، ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإنما السمع والطاعة لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي رواية عند الشيخين: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»، عليك أيها المؤمن السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشط ومكرهك وأثرة عليك، والحديث عن

مسلم في الصحيح، ليس لك عذر في أن تترك السمع والطاعة إلا أن تؤمر بمعصية، فإن أمرت بمعصية فلا سمع ولا طاعة في هذه المعصية، مع بقاء السمع والطاعة في غيرها.

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدًا مجدع الأطراف، رواه مسلم في الصحيح، إن خليلي أي من شدة حبه لي أوصاني أن أسمع وأطيع، أي لولي الأمر، وإن كان عبدًا مجدع الأطراف، وفي هذا أيها الإخوة بيان أنه يجب عليك أن تسمع وتطيع للحاكم في غير معصية الله، ولو كان غير مستكمل لشروط الولاية، ما لم يجن أو يكفر كفرًا بواحًا، فإن العبد لا تصح توليته، لا تجوز توليته، لكن إذا صار واليًا استقامت له الولاية، ووجب عليك أن تسمع وتطيع له، كما أن في هذا الحديث أنك تسمع وتطيع للأمر ولو كنت تكرهه، فإن الحر يكره أن يتأمر عليه عبد، فكيف وهو مقطع الأطراف، ومع ذلك يجب عليك أن تسمع وتطيع، وسأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟ يا له من سؤال عظيم، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا، ما يعطوننا حقوقنا، ويطالبوننا بحقوقهم، فما تأمرنا يا رسول الله؟

وهكذا المسلم التقي الزكي إنما يبحث عن الأحكام في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يطير مع أهل الأهواء، ولا يمشي مع أهل الآراء، وإنما يبحث عن الحكم في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فأعرض عنه، أعرض عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يجبه، قال العلماء: أعرض عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعظم سؤاله، أراد أن يتنبه الناس لهذا السؤال، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله فجذبه الأشعث بن قيس فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسمعوا وأطيعوا، فإن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**».

حتى مع هذه الحال اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم، هذا شأن المؤمن، انظر إلى ما أوجب الله عليه، فإن الله سيسألك، وادع لغيرك فيما حمل أن الله يعينه، والله سيسأله، والله سيحاسبه، ومن آثار البيعة أيها الأحبة أن كل من انعقدت له البيعة من أهل الحل والعقد لزم الجميع اعتقاد أنه الأمير بأي طريق حصل له ذلك، بأي طريق وصل إلى الإمارة، سواء كان الطريق مأذونًا فيه شرعًا أو ممنوعًا شرعًا، لكنه وصل إلى الإمارة واستقام له الحال، وبايعه أهل الحل والعقد فإنه يجب

على من تحت ولايته أن يعتقد أنه أمير، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا عليه برًا كان أو فاجرًا، فهو أمير المؤمنين، من غلبهم بالسيف جاء بالطريق الذي يتفق على أنه ممنوع، من غلبهم بالسيف وتغلب حتى صارب خليفة، استقام له الأمر وسمي أمير المؤمنين بايعه أهل الحل والعقد، لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولو ليلة ولا يراه إمامًا عليه برًا كان أو فاجرًا، فهو أمير المؤمنين، من يقول هذا؟ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن يتهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

وقال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، أجمع الفقهاء هذا كلام الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، وهذا يا عبد الله يعطيك فائدة عظيمة وأمرًا عظيمًا حيث يسد شبهات المشبهين، ويسد الطريق على المخذلين، فإن كثيرًا من المخذلين اليوم يقولون: إن هؤلاء الأحكام لا تجتمع فيهم شروط الولاية فلا يسمع لهم ولا يطاع، ولا بيعة لهم، سُبْحَانَ اللَّهِ قد ردت عليهم النصوص، وإجماع الأئمة قبلهم، كثير من المشبهين، كثير من الملبسين يدلسون على المسلمين ويستغلون جهل كثير من الناس، ويتلاعبون بعواطف الناس، والقاعدة عند المنحرفين المرجفين سبوا الأمراء وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تميل إليكم العامة، فهم يعملون على هذا.

فالواجب عليك يا عبد الله أن تعلم ما ذكرناه، فإنه حصن لك بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن آثار البيعة أنه يحرم سب الأئمة والتشهير بهم، وإسقاط هيبتهم عند الناس، فإن هذا يفتح أبواب الشر ويخالف مقصود الشارع، ففي سنن الترمذي أن أبا بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»، وفي السنة لابن أبي عاصم بإسناد جيد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهانا كبرائنا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: لا تسبوا أمرائكم

ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب، هكذا كان كبار الصحابة يأمرون ويوصون، لا تسبوا أمرائكم ولا تحبوا من يسب أمرائكم، ولا تستاقوا مع من يسب أمرائكم، ولا تغشوهم، بل كونوا ناصحين لهم، ومن النصح: أن تحمل في قلبك لهم البيعة، والسمع والطاعة، ومن النصح أن تناصحهم بالطرق الشرعية من غير إعلان للناس، وإنما بالسر بما يليق بمقامهم ويحفظ هيبتهم، ويحقق مقصود الشارع في ذلك، ولا تبغضوهم، يعني لا تبغضوا ولايتهم.

ولا شك أن الخيرية في أن يحب الناس ولي أمرهم، وأن يحب ولي الأمر الناس، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم»، كما عند مسلم في الصحيح، «خيار أئمتكم»، وبالتالي فأنتم الخيار إذ ذاك الذين تحبونهم ويحبونكم، وتدعون لهم ويدعون لكم، هذا معنى: «وتصلون لهم ويصلون عليكم»، وفي التمهيد لابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا كبرائنا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أول نفاق المرء كلامه في الأمراء، وقد أخرج ابن عبد البر في التمهيد عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إن أول نفاق المرء طعنه في إمامه.

وفي السنة لابن أبي عاصم عن أبي الدرداء أيضًا قال: إياكم ولعن الأمراء فإن لعنهم الحالقة وبغضهم العاقرة، قيل: يا أبا الدرداء فكيف نصنع إذا رأينا منهم ما لا نحب، سؤال عظيم، قال: اصبروا فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فيما ينبغي على الناس تجاه الإمام، قال: واجتناب سبهم والقدح فيهم وإشاعة مسالبهم، يعني اجتناب سبهم واجتناب القدح فيهم واجتناب إشاعة مسالبهم؛ فإن في ذلك ضررًا خطيرًا وفسادًا كبيرًا، ولكن هذا لا يمنع النصيحة، فإن النصيحة لولاة الأمر واجبة، ولكن بالطريق المشروعة، ليس بالإعلان على المنابر، ولا على شاشات التلفاز، ولا في وسائل التواصل، وإنما أن يكون ذلك سرًا بما يحفظ هيبتهم.

من آثار البيعة: أن من اعتقد البيعة في عنقه لا بد أن يظهر منه أنه يحب الخير لولاة الأمر في بلده، ومن أمارة ذلك: أن يدعو لهم، وقد قال أبو بر المروزي: سمعت أبا عبد الله يعني الإمام أحمد وذكر عنده الخليفة المتوكل، فقال: إني لأدعو له بالصلاح والعافية، وقال: لئن حدث به حادث لتنظرن ما

يحل بالإسلام، فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان، قيل له: يا أبا علي فسر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، يعني تكون قاصرة علي، وإذا جعلتها في السلطان فصلح صلح بصلاحه العباد والبلاد، وقيل لبعض السلف: أتدعو للسلطان وهو ظالم؟ فقال: أي والله، إني أدعو له، إنما يدفع الله ببقائه أعظم مما يندفع بزواله.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ومن أفضل الطاعات، ومن النصيحة لله ولعباده، وقال رَحِمَهُ اللهُ: إنه، يعني الدعاء للسلطان من النصيحة لولي الأمر، والتي هي من مقتضىٰ البيعة، فمن النصيحة له الدعاء له بالوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة، معاشر الفضلاء والفضليات إن منهج أهل السنة والجماعة اعتقاد البيعة، ولزومها، والسمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجمع قلوب الناس علىٰ ولاة أمورهم، والسعي في نشر أسباب المحبة والوئام في البلاد، والعمل علىٰ قطع دابر الفرقة والفتنة، هذا منهج أهل السنة والجماعة، ومن أراد بحبوحة الجنة فليزمه.

معاشر الفضلاء والفضليات؛ إن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولى بمبايعة صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زمنه وانعقدت له الولاية، وكان الصحابة قريبين منه ينظرون أفعاله، فما أنكروا عليه ولا شنعوا عليه، وإن أراد أحد منهم أن ينصحه نصحه سرًا فيما بينه وبينه، ولم يعلن ذلك للناس، وقام فئام من أشرار الخوارج في أطراف بعيدة عن المدينة في أطراف بعيدة عن الصحابة رضوان الله عليهم بالإنكار على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبسبه، وبنشر مسالب لهم في زعمهم، وبالطعن فيه، واستغلوا أن الناس هناك بعيدين عن العلم فنشروا هذا حتى جاءوا إلى المدينة وكان ما كان من القصص حتى آل الأمر إلى قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، منهجان وقعا في صدر الإسلام، ولكل منهج خلف، فالصحابة رضوان الله عليهم لهم خلف يعملون بمنهجهم اليوم، والخوارج لهم خلف يعملون بمنهجهم الْيَوْمِ.

وأنت أيها الزكي، أنت أيها الفطن انظر لنفسك وحاسب نفسك هل أنت سائر على منهج صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم أنك سائر على طريقة الخوارج؟ هل أنت فيما يبدو للناس على منهج صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو على طريق الخوارج؟ هل أنت في بيتك على منهج صحابة

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم أنك على طريق الخوارج؟ أقول ذلك لأن من الناس من يقول: إذا كان باديًا أمام الناس على منهج صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن إذا أغلق عليه باب بيته صار على طريقة الخوارج، يطعن في الإمام ويسب الإمام ويربي أهله واولاده على سب الإمام، فهو يربي خوارج في بيته، إياك يا عبد الله أن تكون خارجيًا وأنت لا تشعر، إيام يا عبد الله أن تربي الخوارج في بيتك وأنت لا تشعر، الزم منهج صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سرك وعلنك، واصبر على ذلك، وعض عليه بالنواجذ، مهما سبك المخالفون، ومهما رأيت من كثرة المشغبين، اصبر وصابر ورابط واتق الله، حتى تلق الله وأنت على نهج صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه وصفاته أن يجعلني وإياكم من عباده الصالحين، أن يجعلني وإياكم ممن يبتغون ما عنده، أن يجعلني وإياكم ممن يكون همهم الآخرة، من أن يكون همهم إرضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يحبون حكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وتنشرح به صدورهم، ولا يجدون في صدورهم حرجًا من حكمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وممن يسلمون لحكمه تسليمًا، اللّٰهم يا ربنا يا حي يا قيوم اهدنا إلى السنة، وثبتنا على السنة، وأمتنا على السنة، يا رب العالمين، اللّٰهم اجعلنا ممن يعتصم بحبلك، اللّٰهم اجعلنا ممن يلزم الجماعة، اللّٰهم اجعلنا ممن يحذر الفرقة، اللّٰهم اجعلنا ممن يقوم بالواجب عليه تجاه إمامه، اللّٰهم يا ربنا إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن توفق ولاة أمور المسلمين إلى ما تحب وترضى، اللّٰهم اجعل ولاة أمور المسلمين رحمة على الرعية يا رب العالين، اللّٰهم اهدهم وسددهم وأعنهم يا رب العالمين، اللّٰهم وأعن الرعية على السكون والصبر يا رب العالمين، اللّٰهم اجعل عبادك المؤمنين ممن يقومون بما أوجبته عليهم يا رب العالمين.

اللّٰهم يا ربنا يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض إنك تعلم ولا نعلم، وتقدر ولا نقدر وأنت بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، اللّٰهم إنا لنا إخوانًا مستضعفين في فلسطين، اللّٰهم يا ربنا عجل بالفرج لهم يا رب العالمين، اللّٰهم فرج عنهم يا رب العالمين، اللّٰهم فرج عنهم يا رب العالمين، اللّٰهم واكفهم شر أعدائهم، اللّٰهم اكسر راية أعدائهم يا رب العالمين، اللّٰهم اكفهم شر سفائهم، والمتهاونين منهم يا رَبَّ العالَمِين.

اللّٰهم يا ربنا إنا نسألك أن تطفئ نار الفتن في ديار المسلمين يا رب العالمين، اللّٰهم من كان من ديار المسلمين آمنًا مطمئنًا مستقرًا اللّٰهم فزده استقرارًا وأمنًا وطمأنينة يا رب العالمين، وزد وأنعم وبارك يا رب العالمين، ومن كان من بلاد المسلمين في فتنة وفرقة اللّٰهم أطفئ عنهم نار الفتنة، وأدفع عنهم الفرقة، ووحدهم يا ربنا على ما تحب وترضى، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ أَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ